وفي الصفحات التالية، نحاول أن نقدم تتبعًا تاريخيا موجزًا، للمؤلفات في هذا الموضوع ومناهجها واصطلاحاتها ومدى مقاربة هذه المناهج الدراسة اللغوية أو تباعدها عنها.

أولاً: تأليف المفسرين في الوجوه والنظائر:

بحث الوجوه والنظائر قديم في العلوم القرآنية، يرجع إلى ما قبل تصنيف العلوم الإسلامية وانفصال بعضها عن بعض، إذ يرجع أول ما وصلنا من المؤلفات في الوجوه والنظائر إلى القرن الثاني؛ ذلك هو كتاب مقاتل بن سليمان البلخي المتوفى (١٥٠هـ) «الوجوه والنظائر في القرآن الكريم».

وفي كشف الظنون إشارة إلى كتاب ألفه عكرمة مولى ابن عباس (ت١٠٥هـ)[١] ومن بعده إلى كتاب لعلي بن أبي طلحة (ت ١٤٣هـ). وكلاهما لم يصلنا عنه إلاّ هذه الإشارة الغامضة، التي تدلنا فقط على الإدراك المبكر جدا لفكرة تعدد وجوه اللفظ أو معانيه.

وليس هذا أقدم مظهر لإدراك فكرة الوجوه في عصر نشأة التفسير، فهناك قصة ابن عباس مع علي بن أبي طالب عندما أرسله إلى الخوارج فقال «اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجّهم بالقرآن فإنه حمّال ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنّة»[٢] وليس للقصة بقية فيها استفسار من ابن عباس عن معنى الوجوه أو ما إلى ذلك، كأن هذا كان أمرًا مفهومًا عن القرآن ومسلّمًا به.

وقد ذكر مقاتل في صدر كتابه حديثًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يكون الرجل فقيهًا كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهًا كثيرة»[٣].

فالبحث في وجوه التفسير إذن، بما يدل عليه هذا الوجود القديم للفكرة، كان جزءًا طبيعيا من التصدي لتفسير القرآن الكريم ومحاولة الصحابة والتابعين الكشف عن معاني ألفاظه وتراكيبه.

---

(١) انظر: يحيى بن سلام، التصاريف، تحقيق هند شلبي، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٧٩م، ص١٣.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص٢٤١، ط٣، مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٥١.

(٣) أخرجه بن سعد في الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٧٥٣، بسند منقطع عن أبي الدرداء رضي الله عنه، من قوله، بلفظ: «إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهًا» وكلام مقاتل نقله السيوطي عنه في الإتقان ج١ ص١٤١.